



مذكرات الراحل فرحات عباس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر

**Memoirs of the late Farhat Abbas and its role in writing the history of
Algeria**

سلامي هجيرة

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

البريد الإلكتروني: hadjira.sellami@univ-msila.dz

تاريخ القبول: 2020-01-09

تاريخ الاستلام: 2019-10-09

الملخص:

يعتبر تاريخ الجزائر حافلا بالشخصيات الوطنية الثورية البارزة التي حملت على عاتقها مسؤولية كتابة تاريخ الجزائر في صورته الحقيقية وبكل موضوعية ومجابهة الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى، ويعد فرحات عباس من أهم الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر والتي أثير حولها النقاش وكثير الجدل، فقد أسس فرحات عباس لفكر سياسي جزائري وجسد تيارا عاما أثر في تاريخ الجزائر، كما تطرق الى العديد من المسائل التاريخية وساهم في بلورة أيديولوجية الليبراليين، كما كانت له رؤية خاصة لمسألة الوطنية الجزائرية كفكرة تنطلق من بحثه الذي أجراه حول الذات الجزائرية المفقودة ومحاولة إثباتها في ظل النظام الاستعماري، حيث طور من فكره بعدما كان مطالبا بالإدماج مع فرنسا الى المطالبة بالانفصال عنها.

جمعت شخصية فرحات عباس بين الحنكة السياسية والفصاحة الى الثقافة في مختلف العلوم.

ترك فرحات عباس بصمته في كتابة تاريخ الجزائر وذلك من خلال مذكراته التي كتبها ومن أبرزها كتاب "ليل الاستعمار" وهو عبارة عن مذكرات وإعادة في قراءة لتاريخ الجزائر، حيث تناول فيه أهم مراحل نضاله السياسي خلال مرحلة الاحتلال والثورة التحريرية، إضافة الى كتابه "تاريخ حرب" وكتاب "الشباب الجزائري" الذي يمثل سجلا لنضال فرحات عباس في الحرب، كذلك مقالاته التي جمعها والتي تعبر عن تصوراته للقضية الوطنية ومنها مقال "فرنسا هي أنا".

الكلمات المفتاحية: فرحات عباس، تاريخ الجزائر، المذكرات، الاستعمار، الثورة التحريرية.

Astract

The history of Algeria is replete with prominent revolutionary national figures who have taken on the responsibility of writing the history of Algeria in its true form and with all objectivity and confronting French colonialism on the other hand, and Farhat Abbas is one of the most prominent personalities in the history of Algeria, which has aroused debate and much controversy .

Farhat Abbas established an Algerian political thought and embodied a general trend that influenced the history of Algeria. He also touched on many historical issues and contributed to crystallizing the ideology of the liberals. The colonial system, where he developed his idea after he was required to integrate with France to demand separation from it.

The character of Farhat Abbas combined political skill and eloquence to culture in various sciences.

Farhat Abbas left his imprint in writing the history of Algeria, through his memoirs, which he wrote, most notably the book "The Night of Colonialism,"

which is a memoir and a re-reading of the history of Algeria, in which he dealt with the most important stages of his political struggle during the period of the occupation and the liberation revolution.

In addition to his book "Anatomy of War" and the book "The Young Algerian", which represents a record of the struggle of Farhat Abbas in the war, as well as his articles that he collected and which express his views on the national cause, including the article "France is me"

Keywords: Farhat Abbas, History of Algeria, Memoirs, Colonialism. Editorial Revolution.

مقدمة:

تعتبر المذكرات الشخصية مصدرا هاما في كتابة تاريخ الجزائر وإخراجه في صورته الحقيقية، كما تمكن من مواجهة التزييف الذي تلحقه بعض الروايات الخاطئة بالتاريخ، فالمذكرات وعلى اختلاف أنواعها سواء سير وتراجم أو أعمال شخصيات تلعب دورا كبيرا في عملية التوثيق التاريخي، إلا أنه وما يعاب عليها هو التوجه الذاتي لبعض الشخصيات وهذا يتطلب البحث والجدل لإخراج الحقيقة وإزالة الغموض، ومن بين الشخصيات الجزائرية التي تركت إرثا تاريخيا شخصية فرحات عباس هذا الأخير الذي ألف مذكراته والتي تتحدث في مجملها على فترة الاحتلال الفرنسي وفترة المقاومات بمختلف مراحلها، فهو يعتبر من أبرز الزعامات الوطنية والفاعلة في نضال الحركة الوطنية والثورة التحريرية، حيث تميز بالحنكة السياسية والقدرة على المجابهة، تثقف ثقافة فرنسية وبذلك أصبح من أكبر المفكرين والمنتجين للأفكار خلال عصره.

مزج فرحات عباس في شخصيته بين ثقافتين مختلفتين حيث تأثر بالثقافة الفرنسية ومبادئها وآمن برسالتها الحضارية، ولذلك طالب بالإدماج لكنه وفي نفس الوقت طالب بالمحافظة على الأحوال

الشخصية، ومنتقدا في ذات الأثناء أساليب السياسة الاستعمارية التعسفية وهذا ما ورد في مذكراته وأبرزها "الشباب الجزائري" و"ليل الاستعمار" وغيرها، هذا التزاوج والتأرجح جعله محل انتقاد من طرف الكثيرين.

انصب اهتمامه على تغيير الأوضاع المزرية وكتابة تاريخ الجزائر بصورة حقيقية مبتعدا عن الصراعات والمصالح الشخصية.

كل هذا دعاني لطرح التساؤلات التالية:

من هو فرحات عباس، ماهي أهم مذكراته، وما هو دورها في كتابة تاريخ الجزائر؟

مولده:

ولد فرحات عباس بالطاهير في دوار الشحنة منطقة جيجل بولاية قسنطينة(1)، حيث ينحدر من أسرة فلاحية تدعى بن داوي في قرية بني عافر، وهي قرية ريفية تابعة لبلدية الطاهير المختلطة ومن أجداده الأولين محمد عباس وإبراهيم عباس، حيث يعتبر جده أهم شخصية برزت خلال سنة 1881 شرعت في تسجيل السكان في الحالة المدنية على أن يطلق عليهم لقب عباس باعتباره كان بطالا شجاعا، حيث شارك هذا الأخير في مقاومة جيش الضابط

"سانت أورنو" الذي أباد كامل المنطقة، ولد فرحات عباس يوم الخميس 24 أوت 1899 أبوه اسمه سعيد وأمه معزة عاشورة بنت علي بقبيلة بني عافر(2)، تربى في أسرة تتكون من 12 عددا من الإخوة منهم خمسة ذكور، كان الطابع الجبلي و الفلاحي المعاشي يغلب على عائلته.

تأثر فرحات عباس بالطابع الثوري الذي تميزت به عائلته خاصة جده ووالده، وقال عن والده أنه كان لا يفقه القراءة ولا الكتابة لكنه كان ذكيا يتحدث الفرنسية ويجالس العلماء بكثرة مما جعله مؤمنا بطرق ووسائل عمله(3)، درس فرحات عباس مرحلته الابتدائية بالطاهير وواصل دراسته في سكيكدة و قسنطينة حتى تحصل على شهادة البكالوريا(4)، كان فرحات عباس كغيره من الشباب الجزائريين المتمسكين بوسطهم الاجتماعي وبيئتهم الريفية والجبلية التي عاشوا وتربوا فيها، وفي ذات الوقت عانوا من الظلم الاجتماعي الذي كان يفرضه الاستعمار عليهم خاصة جباية الضرائب المختلفة والتي كانت ترهق كاهل السكان.

مساره التعليمي:

تعلم فرحات عباس القرآن الكريم لما بلغ سن الثامنة من عمره ويعود الفضل في ذلك الى والده الذي كان شديد الحرص عليه، حيث دخل المدرسة القرآنية رفقة أبناء جيله من القبيلة التي يعيش فيها فقد تعلم قيم الإسلام واحترام الدين والتواضع وبذلك صار محبوبا لدى رفاقه، أما لباسه فقد كان تقليديا وبواكب عصره الذي يعيش فيه إذ كان يرتدي القشابية والقميص ويمشي حافيا وبعد الدراسة يعود الى البيت ليقوم بمهمة الرعي(5)، أرسله بعد ذلك والده الى المدرسة الفرنسية الأهلية بالطاهير وبعد عامين تم نقله الى المدرسة الفرنسية بجيجل، وقد واجه خلالها تحديات وصعوبات كثيرة ومنها احتقار الأوربيين له في المدرسة حيث كانوا يسخرون من كل

من هو عربي وينعتونهم، كان فرحات عباس شديد التمسك بقراءة الكتب المدرسية التي كانت فرنسا تقدمها كنموذج للحرية ومثالا لحقوق الإنسان وهذا جعله يتمسك بمبادئها ويؤمن برسالتها الحضارية في تطوير الشعوب المتخلفة ومنها الشعب الجزائري(6)، من جيجل انتقل فرحات عباس الى الدراسة في إحدى المتوسطات والتي كانت تسمى باسم (فيليب فيل) وهذا لما بلغ سن السادسة عشر من عمره، التقى في هذه المتوسطة بالعديد من أبناء الشخصيات التي تتولى مناصب في الدولة كأبناء القياد(7).

لما بلغ سن الثامنة عشر من عمره في هذه الأثناء كانت الحرب العالمية الأولى قائمة على أشدها انتقل فرحات عباس للدراسة في الثانوية بقسنطينة، وبعد حصوله على شهادة البكالوريا عام 1921 توقف عن الدراسة لأجل تأدية الخدمة العسكرية بعناية لمدة قدرت بـ3 سنوات كلف خلالها بمهمة كاتب مسير في مستشفى قسنطينة ثم جيجل بعدها تخرج من الخدمة العسكرية برتبة رقيب، وبعد عام 1923 عاد الى الحياة المهنية والعلمية التحق بجامعة الجزائر وفيها درس الصيدلة(8).

في هذه الفترة بدأت شخصية فرحات عباس تتكون وتبرز من خلال تشبعه بالثقافة والعلوم وكان من بين الذين آمنوا بصدق أن فرنسا الوطن الأم كانت تختلف عن فرنسا الاستعمارية الجشعة، وبأن فرنسا باريس كانت غير فرنسا الجزائر العاصمة وبأن فرنسا حقوق الإنسان ليست هي فرنسا ذاتها قانون الأنديجينا(9)، كانت أفكاره مستقاة من الوسط الذي كان يعيش فيه خاصة في المدرسة هذا لعب دورا كبيرا في تكوين وتشكيل شخصيته الفكرية والسياسية، كما تأثر أيضا بكبار المفكرين والأدباء الفرنسيين الكلاسيكيين من عصر التنوير أمثال "فولتير"، وتأثر كذلك بمؤلفات "شاتوبريان" التي كان يقرأها كثيرا، إضافة الى "ابن سراج" "فيكتور هيجو" وغيرهم(10).

في سنة 1921 تحصل على شهادة البكالوريا والتحق بعدها بالخدمة العسكرية وفقا لقانون التجنيد الإجباري لأبناء الأهالي في فيفري 1912، فكانت وجهته الأولى مدينة عنابة ومنحت له رتبة عسكرية برتبة رقيب رغم أن مؤهله العلمي يمنحه رتبة أعلى في سلم الجيش، لكن أدبيات الإدارة الاستعمارية التي لم تتخلص من العنصرية اتجاه الأهالي كانت تمنح رتب دنيا للمسلمين عكس ما كان يحصل عليه الأوروبيين(11)، وفي سنة 1923 أنهى فرحات عباس خدمته العسكرية فسجل بجامعة الجزائر العاصمة كلية العلوم فرع الطب والصيدلة مع شلة من الطلاب المسلمين لا يتعدى عددهم ثمانية، كان اختيار عباس لهذا التخصص رغبة منه للتحرر من الهيمنة الاستعمارية وممارسة مهنة حرة، فقد كان عباس مميزا مقارنة برفقته متفتح الأفكار وبارز التوجه العلمي فقد كان متفوقا دراسيا وكثير الحجة وهي صفات أهلته لأن يكون كثير الحركة وسط الحرم الجامعي فاختير كأحد أبرز نشطاء العمل النقابي(12)، فميولاته في هاته الفترة كانت كثيرة الى السياسة منها الى الدراسة.

انخراطه في العمل السياسي:

أنشأ فرحات عباس في عام 1924 جمعية الطلبة المسلمين لجامعة الجزائر وبعد ثلاث سنوات انتخب كرئيس لجمعية طلاب شمال إفريقيا(13)، حيث أصبح في هذه الفترة مناضلا سياسيا عنيدا ومهيجا للجماهير(14)، تأثر فرحات عباس بالأمير خالد لأنه لما كان هو طالبا بجامعة الجزائر في العشرينات كان الأمير خالد في تلك الفترة يمثل رمزا سياسيا للشباب الجزائريين المثقفين حيث كان يقرأ جريدة "الإقدام" بانتظام متأثرا بأفكار ومواقف الأمير خالد خاصة وأنه كان قريبا منه من حيث الطرح القائم على دمج الجزائر بفرنسا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية، وهنا نلاحظ اتفاق الرجلان في نقطة واحدة ألا وهي ثقافتهم الفرنسية وفي المقابل الإخلاص

والاحتفاظ بالتقاليد الإسلامية والمحافظة عليها مع الدفاع على الأهالي ضمن الإطار الفرنسي، وبالتالي كانا يطالبان بمساواة الجزائريين والأوروبيين في الحقوق والواجبات وإزالة مفهوم الاحتلال(15).

ومنه نلاحظ بأن فرحات عباس مثل نقطة استمرار لمطالب الأمير خالد حيث طالب بالإصلاح الاجتماعي وإلغاء التفاوت الطبقي والتحرر الاجتماعي، وبالتالي الأمير خالد مثل مرجعية سياسية لفكر فرحات عباس والتي نشرها عبر مقالات في جرائد وكتب منها "جريدة الإقدام" في الفترة الممتدة من 1922-1927، وجرائد الشبان الجزائريين تحت اسم مستعار يعرف بـ "كمال بن سراج"(16)، اقتداء بشخصية مصطفى كمال أتاتورك التركي، أما اسم "سراج" فله دلالة مزدوجة إذ يرمز الى عبد الله آخر ملوك غرناطة الذي طرد من حكمه سنة 1492، كما يرمز الى قصة "شاتوبريان" المغامرة الأخيرة لابن سراج بهذا ذاع صيته في كل أنحاء البلاد وعين نائب لرئيس جمعية مسلمي شمال إفريقيا ورئيسا لها ما بين 1927-1931، وقد ساعدته فصاحة لسانه وقوته على المجادلة للوصول الى هذه المناصب، كما عين في افريل 1930 نائبا لرئيس مجلس الاتحاد الوطني للطلبة الفرانكفونيين ثم رئيسا لجمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1932(17).

وبالتالي فان انخراطه في هذه التنظيمات وبداية سيلان قلمه في كتابة المقالات في الجرائد ومنها الإقدام قد ساعد على تكوين شخصية سياسية جعلته يطالب فرنسا بتطبيق مبادئها المتمثلة في الحرية، العدالة، المساواة إيماننا منه باستجابتها وبالتالي تشبعه بالثقافة الفرنسية وإعجابه بشعاراتها وأفكارها المزعومة جعل الكثير يعتقد بتبعيته وارتباطه بفرنسا.

انخرط في صفوف الجيش الفرنسي عند قيام الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا الفاشستية ليقدم الدليل على إخلاصه في الدفاع عن المبادئ الديمقراطية حتى خارج بلاده(18).

بعد تخرج فرحات عباس من كلية الصيدلة تفرغ أكثر للحياة السياسية حتى استقر بمدينة سطيف عام 1933 وخلال فترة قصيرة أصبح نجما سياسيا معروفا في جميع الأوساط، هذا مكنه من تولي مناصب منها مستشار بلدي في سطيف عام 1933 أو 1934، إضافة الى توليه منصب مستشار عام في انتخابات 14 أكتوبر 1934، وأخيرا شغل منصب مندوب مالي في مجلس الجزائر العاصمة وعضوا في اتحادية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة، فخلال ظرف وجيز أصبح أحد قادتها مع رئيسها الدكتور "بن جلول" ثم رئيس تحرير لجريدتها، لكنه اختلف مع الاستراتيجية السياسية لهذه الاتحادية مما أدى به للانفصال عنها في عام 1938 (19).

كانت صيدلية فرحات عباس التي افتتحها عام 1933 بمدينة سطيف عبارة عن مركز للحوارات السياسية لأن فرحات عباس في هذه الفترة كان يعتبر الجائر جزءا من فرنسا، فأسست في عام 1937 "اتحاد حزب الشعب" مع محمد الصالح بن جلول وذلك من أجل إبداء آرائه والدفاع عنها (20).
مذكراته ودورها في كتابة تاريخ الجزائر:

في البداية ألف فرحات عباس كتابة والمعروف ب"الشباب الجزائري" وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها فرحات عباس في فترة العشرينات حيث شكلت مصدرا ثريا لمواقفه (21)، يبحث هذا الكتاب حياة الشباب الجزائري في الكفاح ضد الاستعمار وذلك بمناسبة الذكرى المائة لاحتلال الجزائر (22)، عنوانه الكامل "الجزائر من المستعمرة الى الإقليم"، "الشباب الجزائري 1930" متبوع بتقرير الى الماريشال بيتان أبريل 1941، ترجمة أحمد منور، تقديم، أبو القاسم سعد الله.

هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة مقالات كتبت في تواريخ مختلفة تحت الاسم المستعار "كامل بن سراج"، كتب المقالات الأولى حيث كان يؤدي الخدمة العسكرية سنة 1922 والأخرى أثناء دراسته

في الكلية المختلطة للطب والصيدلة بالجزائر، نشر الكتاب سنة 1931 غداة الاحتفالات بالذكرى المئوية لغزو الجزائر في الفترة التي كانت مطالب الأهالي فيها تنحصر أساسا في المساواة في الحقوق مع الأوروبيين، هذا الكتاب كان غير معروف لأنه لم يسحب منه إلا ألف نسخة في البداية، الى أن أعيد طبعه وهو متبوع بتقرير الى الماريشال بيتان، وهو آخر محاولة لفرحات عباس لدى حكومة فرنسا الشرعية، من أجل الحصول على إصلاحات عميقة كفيلة بعلاج حالة البؤس للشعب (23).

قال في بداية كتابه أنه ومن حيث النظرة النزيهة للتاريخ فان مسؤولية حرب الجزائر تقع قبل كل شيء على عاتق السلطة المركزية في باريس ثم بعد ذلك على عاتق أولئك الذين أرادوا ووجهوا البلد نحو الوجهة التي تخدم مصالحهم وحدها فقد حاول هو إصلاح ذات البين بين المستعمر والمستعمر والمطالبة بالمصالحة.

تحدث أيضا عن دافع الاحتلال الفرنسي للجزائر ودور المقاومات في هذا المضمار، لكن ميزان القوى لم يكن متساو وبذلك كانت فرنسا تفرض الخضوع المدمر، هذا أدى الى احتكار الوظائف العمومية والسلطات السياسية فقد كانت تظن نفسها أنها بنت لتبقى "ألف عام"، ويذكر في هذه المذكرة أن طالبا من أصل مالطي قدم من نواحي سوق أهراس قرعه ذات يوم أمام كليات جامعة الجزائر بعبارات وهي (لولا فرنسا لكنت راعي ماعز في دوارك) فرد عليه (قبل مجيء الفرنسيين كانت أسرتي لا تعرف الجوع وكان لجدي حقله وقطيعه، ولكن أنت هل يمكنك أن تقول لي ماذا كان آباؤك يفعلون في مالطة ؟ أليس البؤس هو الذي جعلهم يهاجرون الى الجزائر) (24).

تطرق في كتابه هذا أيضا الى الحديث عن ميلاد حزب الشعب الجزائري 1937 حيث يقول أنه

الذي فرضته فرنسا على الأهالي الجزائريين بالقوة (26).

يذكر فرحات عباس بأن الدكتور "بن تامي" قد أعجب بمقالاته وطلب منه التعاون معه في جريدته بصفة منتظمة لكن عباس اشترط عدم الإفشاء على اسمه فقبل ومنها صدر له مقال "مأساة الأمس وغموض الغد" وينتهي الشاب الجزائري في الإعراب عن أمله بأن يرى المستعمرة تسير نحو مقاطعة لكن ذلك لم يحصل (27).

تقريره للماريشال بيتان أبريل 1941:

هذا التقرير وجه للماريشال يوم 10 ابريل 1941 بواسطة عامل عمالة قسنطينة "ماكس بونافوس" الى الماريشال بيتان رئيس الدولة الفرنسية. حيث قال فيه عن كتاب الشاب الجزائري أنه يمثل آخر كتاباته لصالح المساواة في الحقوق ضمن إطار الجمهورية الفرنسية، كما حاول من خلاله تذكير فرنسا التي كانت في أوج ثورتها الوطنية من أجل إتباع سياسة للتغيير، يقول لكنني كنت مخطئا لأنه كان خلف الماريشال بيتان زيادة على تأثير النازية تأثير الجيش والبحرية والاحتكارات الاستعمارية، لذلك اكتفى الماريشال بتوجيه شكره لي الذي كتبه أحد جنرالاته نيابة عنه ثم لم يفعل أي شيء (28).

ومنه يمكن القول بأن كتاب "الشاب الجزائري" قد اعتبره الكثير من الكتاب بأنه مؤلف مهم يعرفنا بتفكير وعقلية متطورة لشاب جذبه الغرب فأحب واحترم فرنسا لكنه ظل يحلم بالتغيير الاجتماعي، وكثيرا ما أخفى أمنية غامضة لنظام أكثر عدلا فهو شديد التمسك بالاستقرار، كما يذكر الكتاب الأفكار التي نادى بها والقائمة على أساس ربط الجزائر بفرنسا لإلغاء الاحتلال والتجنيس الجماعي للجزائريين.

رأى النور في الجزائر نفسها معطيا نفسا جديدا لمقاومة من الزمن وأصدر نشرة "البرلمان الجزائري" ثم "الأمة الجزائرية"، "الجزائر الحرة"، وبعد ح.ع.2 تفجرت كل التناقضات القديمة وانطلقت حركات التحرر في إفريقيا وآسيا، في هذه الظروف حرر عباس "البيان" أي "بيان الشعب الجزائري" حيث يقول فيه تخلينا عن وهم سياسة إدماج الجزائر في فرنسا وطالبنا بسياسة جديدة تحترم القومية الجزائرية وتقوم على استقلال الجزائر ذاتيا في إطار كومنولث فرنس، كما أنشأ "أحباب البين والحرية"، وبعد مجازر ماي أنشأ "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" كما ظهرت "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" وريثة حزب الشعب، طالب بإمكانية تعايش الجزائريين والفرنسيين دون إراقة للدماء، لكن هذا لم يحدث بسبب محافظة السياسة الاستعمارية حتى النهاية على طابعها التمييزي (25).

وأثناء ح.ع.2 وبعد نزول الحلفاء في شمال إفريقيا أسس سنة 1947 بالجزائر أسبوعية "الجمهورية الجزائرية" حيث دافع فيها عن الخط السياسي الذي تبناه وهو "الفدرالية في إطار احترام الجنسيات"، وفي غداة الفاتح من نوفمبر انضم إلى ج.ت.و وكتب في المجاهد شارحا حرب تحرير الجزائر، مؤكدا أنه وطوال حياته السياسية حاول الاقتراب من الشعب مترجما بذلك تطلعاته المشروعة في كل مرحلة من مراحل تطوره والدفاع عن مطالبه في أنه لم يخن في لحظة مصالحه، كان فرحات عباس يذكر دائما أنه كان ذو ثقافة فرنسية وقد أعطته هذه الثقافة حسا رفيعا وفيا لها، فبفضلها حارب إقطاعيات المال التي استحوذت على السلطة في الجزائر ووقفت موقف العداء من شعبنا ومن الإسلام، كم أنه ندد على رجال جيله بالعنصرية والظلم وحرك الجماهير وأسعف العاجزين ودافع عن الناس الأشد حرمانا، ويؤكد أنه لم يحث أن تكلم كلاما مزدوجا أو سبق له وأن زور، كما عقب على قانون التجنيد الإجباري عام 1912

الكتاب الثاني: حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار الفرنسي":

أصدر فرحات عباس كتابه الثاني ليل الاستعمار، نقله الى العربية أبو بكر رحال (31)، يعترف فرحات عباس بأن هذا الكتاب ما هو إلا عجالة لتاريخ الاستعمار الفرنسي ألفه رجل مستعمر (بفتح الميم) ما فتئ متمسكا بأصله وأجداده ولكنه رغم هذا التمسك لا يجحد فضل أوروبا وفرنسا في ازدهار المدنية والبشرية، أنهى هذا الكتاب سنة 1960 (32).

اعتبر فرحات عباس هذا الكتاب شهادة لشرح الأسباب التي أدت الى الثورة المسلحة من أجل القضاء على أسطورة الجزائر فرنسية التي طالما نادت بها فرنسا وأتباعها، كما فضح فيه سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة الممتدة من 1830 الى غاية 1961 وأساليبه المختلفة في اضطهاد واستعباد الشعب الجزائري من خلال تقديمه للأدلة والحقائق ونتائجها على المستويات الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، السياسية ولهذا يعتبر هذا الكتاب كشاهد عدل لكشف الحقيقة وإنقاذ حظوظ تعاون مخلص ومثمر بين الشعب الجزائري والفرنسي، ووصف في هذا الكتاب مراحل تشكيل أحزابه السياسية رفقة مجموعة من أتباعه مفسرا في خضم هذا الحديث الأسباب الحقيقية لمجازر الثامن ماي 1945 وصولا الى تكوين حزب جبهة التحرير الوطني.

وبالتالي يعتبر هذا الكتاب ذاكرة تاريخية لجيل فرحات عباس، وتجربته السياسية في مرحلة النضال السياسي من خلال أحزابه ثم مرحلة الثورة التحريرية تحت راية حزب جبهة التحرير الوطني (33).

الكتاب الثالث: "تشریح حرب":

نشر هذا الكتاب سنة 1980 بفرنسا، وهو عبارة عن دراسة تحليلية لأحداث الثورة التحريرية منذ بداياتها، حيث اشتمل الكتاب على 12 فصلا

عبر الكتاب عن المرحلة الأولى من نضاله السياسي ومواقفه اتجاه الاستعمار التي تطورت عبر الزمن، وبالتالي فإن الأفكار الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية الواردة في الكتاب بقيت ثابتة نوعا ما لصالحها (29).

تضمن الكتاب شعورا حادا بالكرامة التي جرحها عدم الاعتبار والاحتقار المسلط على النخبة المفرنسة، ونقدا لطيفا لكنه صارم على السياسة الفرنسية ودفاعا حارا عن الحضارة الإسلامية، أما فكرته الأساسية فهي ضرورة الانتصار على الاستعمار قبل كل شيء ليتحقق الوفاق المطلوب بين الفرنسيين والمسلمين، ولا كلام عن الأمة الجزائرية ولا عن الوطنية، ان الجزائر أرض فرنسية وأنا فرنسيون لنا نظام إسلامي لأحوالنا الشخصية والمرغوب هو السير من المستعمرة الى المقاطعة.

ومنه نستنتج بأن فرحات عباس في مقالات هذا الكتاب حاول التوفيق بين قيم الحضارة الإسلامية ومبادئ الثورة الفرنسية أي بين الإسلام وفرنسا أو ما يسميه الوطن الروحي والفكري.

ان التقرير المرسل الى بوتان هو عبارة عن اقتراح من أجل تغيير أوضاع المجتمع الجزائري والقضاء على النظام الاستعماري، وبهذا نلاحظ الأفكار الاجتماعية والاقتصادية لفرحات عباس التي طالب بها من أجل تحقيق التنمية.

مقالات فرحات عباس في هذا الكتاب تسجل مرحلة في تفكير النخبة المفرنسة من الجزائريين امتدت الى 1936 وهي مرحلة الإدماج التاريخي للنخبة الجزائرية في المواطنة الفرنسية بدون التخلي عن نظام الأحوال الشخصية (30).

تناول فيه تاريخ الجزائر منذ الفترة القديمة الى غاية استقلال الجزائر، مركزا فيه على مرحلة الاحتلال الفرنسي منتقدا فيه سياسة فرنسا وأساليبها، كما تحدث فيه أيضا على مبررات انضمامه للثورة التحريرية وتخليه عن الارتباط بفرنسا.

تحدث في هذا الكتاب على فشل المشاريع الفرنسية في القضاء على الثورة، مبرزاً بذلك نشاطه السياسي والدبلوماسي منتقدا الأخطاء التي ارتكبتها الثورة.

ختم كتابه بدعوة إلى رد الاعتبار للعلم والإنسان من أجل استعادة الاستقلال الفعلي وفاء لأرواح الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم لأجل هذا اليوم(34).

أما علاقته بالإدماج فيذكر فرحات عباس في مذكراته:

لقب فرحات عباس بزعيم الإدماج وذلك نظرا لتشبعه بالثقافة الغربية، حيث أنه كان اندماجيا لكن أقل اندفاعا وذاتية فهو ينادي بالإدماج وتوحيد الجزائر مع فرنسا لكن مع التمسك بالقانون الأساسي للأحوال الشخصية، إلا أنه لم يحتقر وسطه التقليدي الذي كان يعيش فيه، حيث كانت دعوته الاندماجية ذات طابع معتدل مقارنة برفاقه الذين كانوا يطالبون بالانغماس الكامل في الثقافة الفرنسية والارتباط اللا مشروط بفرنسا، كما أكد على أهمية الدين باعتباره عمود حياة الجزائريين لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب أو تهديم(35)، وقد أصدر في مقالاته التي نشرها عام 1927 في أسبوعية التقدم لابن التهامي المبادئ العامة التي يراها صالحة للاندماج.

كما أكد فرحات عباس موقفه من الاندماج في مقال صدر له في 23 فيفري 1936 بعنوان (فرنسا هي أنا) ففي هذا المقال أنكر فرحات عباس وجود وطن

جزائري(36)، لكنه فيما بعد يقول أنها مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر كان لابد منها حيث قال(نحن أصدقاء الدكتور بن جلول السياسيون قد نكون وطنيين -فليست هذه التهمة جديدة ولقد تحدثت في هذه المسألة مع شخصيات مختلفة فموقفي معروف، الوطنية هي هذا الشعور الذي يدفع شعبا من الى الحياة داخل حدوده الترابية، الشعور الذي خلق هذه الشبكة من الأمم، ولو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا، وما أحمر وجهي من ذلك كما لو احمر من جريمة، فالرجال الذين ماتوا من أجل طموحهم الوطني يكرمون يوميا ويحترمون ولا قيمة لحياتي أكثر من قيمة حياتهم، على أنني لن أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن لا وجود له، فإنني لم أعر عليه، وسألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات، زرت المقابر، فلم يحدثني عنه أحد...فلا يقام البناء على الريح، وقد أبعدنا نهائيا السحب الكثيفة والأوهام لربط نهائيا مستقبلنا بمستقبل ضيع فرنسا في هذه البلاد...وليس هناك من يؤمن بصورة جدية بوطينتنا، وما يراد محاربته من وراء هذه الكلمة إنما هو تحررنا الاقتصادي والسياسي...فبدون تحرر الأهالي لا تكون هناك جزائر فرنسية دائمة...)

لكن فرحات عباس عدل عن رأيه فيما بعد وتحول الى الوطنية الجزائرية، وذلك من بعد أن يؤس من الوطن الفرنسي(37)، فبعد أن اندلعت الثورة أعلن عباس أنه جندي من جنودها وانضم إليها لا خوفا ولا طمعا بل رغبة في التحرر والانفصال عنها.

تحريره لبيان الشعب الجزائري 1943:

في أثناء الحرب ع.2 نزلت قوات الحلفاء في الشمال الإفريقي عام 1943 لأجل ذلك وجد العديد من القادة السياسيين الجزائريين أنه لابد من إيجاد صيغة جديدة للتعامل مع فرنسا ولذلك تم عقد اجتماع شمل عدة تشكيلات جزائرية جمعت (النواب

كما أصدر فرحات عباس كتاب ثالث بعنوان "الاستقلال المصادر":

حيث يعد هذا الكتاب تشخيصا لحالة الجزائر المستقلة التي عرفت الصراعات بين الإخوة الأعداء على السلطة وتهميش وتغييب رأي الشعب الجزائري ومصادرة إرادته الحرة، وبالتالي فرض نظام فردي شمولي.

الكتاب الرابع "تشریح حرب":

حلل فيه فرحات عباس تاريخيا جميع الأحداث والتطورات التي واكبت الثورة التحريرية، كما تطرق أيضا إلى الصراعات والأحقاد التي كانت بين الفرقاء، إضافة إلى الأخطاء التي وقعت فيها الثورة، كتصفية بعض الزعامات التي لا تتوافق في نفس الرأي (41).

كتاب "غدا سيطلع النهار":

أطلق على هذا الكتاب اسم المنهاج وذلك حتى يصور معالم بناء الدولة الجزائرية المعاصرة، مع الأخذ بعين الاعتبار لمناضليها الأصليين، يعد هذا الكتاب برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي حقيقي لبناء الجزائر المستقلة (42).

دور مذكرات فرحات عباس في كتابة تاريخ الجزائر:

اعتمد فرحات عباس خلال مراحل الأولى من نشاطه السياسي توظيفه للتاريخ الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، فهو لم يكن هدفه الدفاع عنها بقدر ما كان يهدف إلى محاولة توجيه الإدارة الاستعمارية وحثها على إتباع نموذج العرب المسلمين وسياساتهم في الفتح بدل النموذج الاستعماري أن أرادت فعلا دمج الجزائر وإلحاقها، وبالتالي كانت مذكراته تعريفا للتاريخ الإسلامي ونقدا لسياسة الاستعمار الفرنسي.

الجزائريين، حزب الشعب الجزائري، جمعية العلماء المسلمين) نتج عن هذا الاجتماع صدور ما يعرف "ببيان الشعب الجزائري" عام 1943، كتبه فرحات عباس ووقعت عليه العديد من الشخصيات الجزائرية حيث أدان البيان الاستعمار ودعا إلى تطبيق حق تقرير المصير للشعوب، والمطالبة بدستور الجزائر، كما دعا إلى حرية الصحافة والتعليم المجاني (38)، وبعد مدة قصيرة صدر ملحق لبيان الشعب، وبالتالي فهو يعتبر أول وثيقة مهمة وضعها الجزائريون للمطالبة بإقامة دولة جزائرية ذات سيادة وهي عبارة لم توضع في البيان نفسه، إذ دعا الملحق إلى تأسيس جمعية جزائرية ودستور خاص.

لعب فرحات عباس دورا كبيرا من أجل الحفاظ على مبادئ البيان والسعي لتحقيق ما جاء فيه، بحيث عقد عدة اتصالات مع قادة حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء والنواب الجزائريين أملا منه في توحيد التجمعات السياسية الجزائرية على موقف واحد، خلالها أنشأ تكتل سياسي عرف بـ "حركة أحباب البيان والحرية" عام 1944، وانتخب أمينا عاما للحركة (39).

عندما وقعت مجازر 8 ماي 1945 تأثرا كثيرا مما دفعه وهو في السجن لكتابة براءته من الأحداث التي سجن بسببها، فكانت بمثابة تصريح عن استقالته من العمل السياسي وليبرئ نفسه من تهمة تدبير الأحداث الدموية فكتب قائلا "أؤكد بشرفي، وأقسم أمام الله وأمام بلدي وأمام جميع الفرنسيين أن أيدينا نظيفة تماما من كل دم بشري" (40).

تمكن فرحات عباس من خلال مذكراته إعادة قراءة تاريخ الجزائر بصورته الحقيقية منتقدا بذلك ما كتبه المؤرخون والرحالة الأوروبيون الذين شوهوا تاريخ الجزائر واعتبروا الوجود العربي والإسلامي في الجزائر احتلالا، حيث وصفوا العرب بالعصابات الإسلامية وهو تزييف للحقيقة التاريخية، لكنه في نفس الوقت أثنى في كتاباته على مؤرخين كتبوا بموضوعية عن تاريخ الجزائر وإفريقيا الشمالية مثل "شارل أندري جولييان وشارل روبير أجبرون".

أظهر مذكرات عباس التاريخية عدل المسلمين الأوائل وعدم نهيمهم للأهالي، إضافة إلى تشجيعهم على التعليم دون تمييز بين العرب والبربر أو غيرهم من الأجناس الأخرى وكثيرا ما تحدث عن الوجود الروماني الذي اتخذته فرنسا نموذجا في الجزائر(43).

ركز فرحات عباس في مذكراته على دور الإسلام وأهميته وأن أساليبه يجب أن تصبح نموذجا لفرنسا إن أرادت فعلا تحقيق هدفها.

نادى عباس في أغلب مذكراته إلى مبادئ التسامح والعدالة والحرية والمساواة، وهذا يوضح تمسكه بتقاليده وبنائمه الحضاري، فأصبح يعتبر كأنه حامل العلم الذي سقط من يدي الأمير خالد(44)

إن أفكار عباس المذكورة في مذكراته تؤكد تاريخ الجزائر العريق وارتباطه بأفكار المشاركة الإسلامية.

فضحت مذكراته صورة فرنسا الديمقراطية التي كانت تدعي نشر الحضارة في الجزائر وإعادة كتابة تاريخ الجزائر بصورة حقيقية.

يعتبر عباس من بين الرجال القلائل على الساحة السياسية الذين تميزوا بتطور فكرهم وفقا للتغيرات السياسية التي كانت مطروحة على مسرح

الأحداث والتي كان يعيش تحت تأثيراتها الشعب الجزائري في ظل الليل الاستعماري، محمدا بصورة واضحة موقفه من اللوبي الكولونيالي الذي أقصى الحق الجزائري وصادر ممتلكاته، وبالتالي جرائم الإدارة الفرنسية جعلته يدون موقفه ويندد بأوضاع الجزائريين.

أظهرت كتاباته رغبته الجامعة في بناء جزائر ديمقراطية وتعددية متسامحة مع نفسها ومع أبنائها، وبهذا كان أحد المؤسسين لهذا الوطن.

روح فرحات عباس لفكرة "الجزائر جزائرية" وهذا ما تجلى في خطابه خاصة خطابه الهام والتاريخي الذي تلاه يوم 20 أوت 1955 في مسقط رأسه بمدينة جيجل، وبالتالي هو الواضع الحقيقي لمصطلح "الجزائر جزائرية"، وإن كان الثوار قد فتحوا النار على فرنسا عسكريا في ليلة الفاتح نوفمبر، فإن فرحات عباس ومن مسقط رأسه فتح النار على النظام الاستعماري ومؤسساته وكل مكوناته (45).

كتب فرحات عباس العديد من المقالات والتي تعتبر في أغلبها وثيقة هامة لدراسة نشأة الوطنية وخاصة منها الشاب الجزائري، إضافة إلى مقالات في جرائد مختلفة منها نذكر:

1: جريدة الوفاق الفرنسي:

والتي شارك في إصدارها مع الدكتور بن جللول في عام 1933 وهي بالدرجة الأولى وسيلة دعائية لفكرة الإدماج، وانتقاد لسياسة الاحتلال.

2: جريدة المساواة:

أصدرها سنة 1944 كانت تقوم بالدرجة الأولى بالدعاية لصالح البيان الجزائري الذي قدمه عباس للحلفاء.

3: جريدة الجمهورية الجزائرية:

ديسمبر 1985 أعلنت جريدة الشعب وفاته دون أن تذكر شيئا عن نضاله(48).

خاتمة:

في الأخير يمكن القول بأن فرحات عباس يعتبر من الشخصيات المهمة التي ساهمت في كتابة وتدوين تاريخ الجزائر بصفة حقيقية وبكل موضوعية. فقد دون الأحداث التي تعرض لها بمختلف جوانبها السلبية والإيجابية دون التنكر لما فيه وما فعل خاصة إيمانه بالوطن الفرنسي فقد اعترف وقال أن ذلك من الماضي، آمن بفكرة الحوار السياسي وطالب فرنسا بالمساواة بين المسلمين والفرنسيين، لم يتنكر لأصله ولا لجذور عائلته الفلاحية، دون تاريخ الجزائر بكل مراحلها وذلك لأجل الحفاظ عليه وحمايته من التزييف والتشويه الذي أرادت فرنسا أن تلبسه إياه، كما انتقد المفكرون الأوروبيون ونظرتهم السلبية لتاريخ الجزائر، أثارت شخصيته الجدل في مختلف الأوساط السياسية وذلك لعدم تمسكه بموقف واحد، فرحات عباس هو ذلك الرجل الأوروبي الذي يؤمن بالاندماج مع فرنسا مع إمكانية تحقيق الذات الجزائرية من خلال البعد الفرنسي، وبالتالي يعتبر من الشخصيات البارزة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية حيث ترك بصمته في تاريخ الجزائر كما أسس لفكر سياسي جزائري له حقيقته وخصوصياته.

صدرت سنة 1947 فمن عنوانها نلاحظ التحول الذي عرفه الفكر السياسي لفرحات عباس بعد ح.ع.2 وهي تروج لفكرة قيام جمهورية جزائرية متحدة فدراليا مع فرنسا.

ان كتابات ومؤلفات فرحات عباس تعد مرجعا مهما لدراسة تاريخ الجزائر لمختلف مراحلها، وتحليل للوقائع السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، كما بنى بها فكرا سياسيا واجتماعيا من منطلق ثقافته التي حاول بواسطتها تغيير الوضع السياسي والاجتماعي متأثرا بالظروف التاريخية والسياسية التي تعيشها البلاد(46).

المناصب التي تقلدها بعد الاستقلال:

-ترأس الحكومة المؤقتة على مرتين وبالتالي (19 سبتمبر 1958-27 أوت 1961)

-شغل منصب نائب عن مدينة سطيف بعد استرجاع السيادة

-شغل منصب رئيس لأول مجلس تأسيسي الذي انتخب في 20 سبتمبر 1958(47).

إلا أنه وبمرور الوقت وتسارع الأحداث بعد الاستقلال تعرض للنفي رفقة مجموعة من المناضلين في عهد الرئيس هواري بومدين بالضبط في 10 مارس 1976، وضع تحت الإقامة الجبرية وصودرت صيدليته في 17 مارس 1976 هاته الأخيرة التي تعد مصدر رزقه الوحيد هو وعائلته كما جمد حسابه المصرفي، دامت وضعيته على هذه الحالة الى غاية 13 جوان 1977 حيث رفعت عليه الإقامة الجبرية وسمح له بالتنقل بحرية داخل الجزائر فقط، ولم يسترجع جواز سفره إلا بعد وفاة هواري بومدين، واستعاد صيدليته في جانفي 1982 ، كما وضع في الإقامة الجبرية مرة ثانية وبعد خروجه منها انقطع على العمل السياسي ليهتم بالتأليف، وفي 30 أكتوبر 1984 قلده الشاذلي بن جديد وسام المقاومة في داره بحي القبة، توفي في 24

ساهم في فرحات عباس في سيرورة النضال المطلي وتجسيد واقعية المجتمع الجزائري، هذا المشروع الذي امتزج بين الثقافة الفرنسية والقيم الإسلامية وفق تطور تدريجي انتقل من سلطة المهادنة الى سلطة المواجهة والانفصال.

قائمة المصادر والمراجع

- (13)- سامي صالح الصياد، غيلان سميطة: "فرحات عباس ودوره في السياسة الجزائرية 1899-1985، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 19، العدد 1، كانون الثاني، 2012، ص 367.
- (14)- علي تابلليت: فرحات عباس رجل دولة، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2009، صفحة الغلاف.
- (15)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 43-44.
- (16)- المرجع نفسه، ص 44.
- (17)- نفسه، ص 45-46.
- (18)- المجاهد، مصدر سابق، ج2، العدد 37.
- (19)- علي تابلليت، المرجع السابق، ص 26-27.
- (20)- سامي صالح الصياد، غيلان سميطة، المرجع السابق، ص 367.
- (21)- عباس محمد الصغير، المرجع السابق، ص 7.
- (22)- المجاهد، المصدر السابق.
- (23)- فرحات عباس: الجزائر من المستعمرة الى الإقليم "الشباب الجزائري" 1930، ترجمة: أحمد منور، تقديم: الدكتور أبو القاسم سعد الله، وزارة الثقافة، 2007، ص 15.
- (24)- المرجع نفسه، ص 17-18.
- (25)- نفسه، ص 22-28.
- (26)- نفسه، ص 33-35.
- (27)- نفسه، ص 48-61.
- (28)- نفسه، ص 145-146.
- (29)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 30.
- (30)- نفسه، ص 31.
- (31)- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار"، المرجع السابق، صفحة الواجبة.
- (32)- المرجع نفسه، ص 9.
- (33)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 31.
- (34)- نفسه، ص 32.
- (35)- نفسه، ص 66-67.
- (36)- علي تابلليت، المرجع السابق، ص 36.
- (37)- المرجع نفسه، ص 37.
- (38)- سامي صالح الصياد، غيلان سميطة، المرجع السابق، ص 368.
- (39)- نفسه، ص 368.
- (40)- نفسه، ص 369.
- (41)- عباس محمد الصغير، المرجع السابق، ص المقدمة أ-د.
- (42)- عيسى ليتيم، كليل صالح: قراءة في آخر ما كتب فرحات عباس بعنوان: غدا سيطلع النهار، ملخصات الملتقى الوطني
- (1)- المجاهد: اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني، ج2، العدد 37، 19/9/1958.
- (2)- بو عبد الله عبد الحفيظ: فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919-1962، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005، ص 26.
- (3)- المرجع نفسه، ص 27.
- (4)- مقالاتي عبد الله: موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتون، الجزائر، 2008، ص 200.
- (5)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 37.
- (6)- نفسه، ص 37-38.
- (7)- عبد القادر حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص 26.
- (8)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 38-39.
- (9)- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار"، تعريب: أبو بكر رجال، منشورات أناب، 2005، ص 2.
- (10)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 41.
- (11)- عباس محمد الصغير: فرحات عباس من الجزائر الفرنسية الى الجزائر الجزائرية (1927-1963)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 8.
- (12)- المرجع نفسه، ص 9-10.

-
- الأول في الأبحاث والدراسات التاريخية في الجزائر بعد خمسين
سنة من الاستقلال- محطة الاعتبار والتقييم، جامعة الحاج
لخضر، باتنة، 6-7 ماي 2013.
- (43)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 40.
- (44)- نفسه، ص 42.
- (45)- عباس محمد الصغير، المرجع السابق، ص 92-93.
- (46)- بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 29.
- (47)- علي تابلت، المرجع السابق، ص 12.
- (48)- المرجع نفسه، ص 15-16.